

في نور محمد فاطمة الزهراء

تناولوا بأقلامهم ذلك العهد المبكر من عهود الدولة الإسلامية، فراحوا – عن تعصّب وتحزّب – يلغون في سيرة الزهراء ولوغ الكلاب، متكلمين ذرائع موهومة ودّوا أن تنال من قدرها الرفيع، وتشوّه صورته النفسية والبدنية أمام العقول والعيان. فإن لم يكن سوء النية هو دافعهم إلى هذا التكلف، فأى شيء غيره يكون؟ لقد كانت لهم مندوحة [856] عن جنوحهم إلى الافتراء، بعد أن توفّرت لهم وسائل البحث والتحقيق، وبعد ما تيسّرت لهم دقّة الاستنباط، بانفساح آفاق مراجعة الرأي على أُسس علمية وموضوعية، كما تستند إلى النصّ تستند أيضاً على ما وراءه من عوامل – حديثة ونفسية – الإحاطة بها، ولمّ شتاتها يفسح المجال لإحكام التقدير. لكن الهوى غلاب [857]، والمتحيّز لا يميّز، فانظرهم كيف يعتسفون [858] الأسباب! إنّ الزهراء – في رأيهم – إنّما عزف [859] عنها الخُطّاب سنيين عدداً، لأنّها كانت تفتقر إلى ما يجعل الرجل العربي – أيّ رجل – يقبل على اختيارها شريكة حياة!! فهي ضامرة هزيلة، والأزواج حينذاك يفضّلون المرأة ممثلة الجسم، ريّانة القوام، وهي موسومة بالحزن، مكتئبة المزاج، وما من بيت يرفرف عليه التشاؤم كبيت قعيدته لا يعرف وجهها الابتسام، وهي ليست على ذكاء ملحوظ، وبُعد نظر، وسعة حيلة!! ثم هي فوق هذا لم تكن ذات نصيب من الوسامة يمكن أن توصف معه بالجمال!! فإذا اجتمع كلّ ذلك إلى المعيشة الضنك التي كانت تحياها، فما الذي يبقى منها ليجذب إليها الخُطّاب؟ ويستند [860] أُولئك الذين كادوا يجرّونها ممّلاً يزيّن الفتاة، إلى ندرة ما ورد عنها